المحاضرة العاشرة // خُلُق الأمانة المهنية

تعريف الأمانة:

الأمانة لغةً: ضِدُّ الْخِيَانَةِ، **ومعناها؛** الاطمئنان وسكون القلب. **والأَمْنُ:** ضِدُّ الْخَوْفِ.

وفي الاصطلاح: عُرِّفت بأنها: "كلُّ ما يُؤتمن عليه المرءُ من أموال وحرمات وأسرار". **وعُرِّفت بأنها:** "خُلُقٌ ثابتٌ في النّفس يَعفُّ به الإنسان عَمّا ليس له به حقٌّ -وإنْ تهيّأت له ظروفُ العدوان عليه دون أن يكون عُرْضةً للإدانة عند النّاس- ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقٍ لغيره -وإنْ استطاع أنْ يَهضمَه دون أن يكون عُرْضةً للإدانة عند النّاس-".

فالأمانة تشتمل على ثلاثة عناصر:

الأوّل: عِفّة الأمين عمّا ليس له به حقٌ.

الثّاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقٍ لغيره.

الثّالث: اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره، وعدم التّفريط بها.

وهذه العناصر الثلاثة مطلوبة في المهنة، إلا أن الأول منها تناولناه تحت عنوان النزاهة والشفافية، ويبقى الآخران، وهما ما عليه مدار حديثنا في هذه المحاضرة.

- إذاً فالأمانة تعني الحفاظ على أسرار المهنة، والحفاظ على مصالحها، والحفاظ على حقوق الآخرين وعدم الخيانة فيها:
- فأما الحفاظ على أسرار المهنة فيكون بالحفاظ على خصوصية العلاقة بين أطراف المهنة بحسب طبيعة المهنة، والحفاظ على كل ما يعرف عند الناس بأنه إفشاءَه نقضٌ للعهد، وخيانةٌ لأسرار المهنة.
- فالطبيب مثلاً يطالب بالحفاظ على أسرار المشفى، وأسرار مرضاه، ووضعهم الصحي، مما يُعد سراً في عرف المهنة، فيمتنع عن اطلاع الآخرين عليها.
- والمشفى يحتفظ بالأسرار المتعلقة بالطبيب من حيث مُرَتبه أو الجزاءات الإدارية الواقعة عليه مثلاً، وكذا الأسرار المتعلقة بالمريض مما يعد كشفه إفشاءً لأسراره.
- والمريض يحتفظ بالأسرار المتعلقة بالمشفى كمراعاة ظروفه الخاصة، والأسرار المتعلقة بالطبيب كأن يكون قد سمح له بمراجعته في بيته أو خارج أوقات الدوام الرسمي، أو غير ذلك مما يعد إفشاؤه مزعجاً للطبيب.
- وأما عدم الخيانة في المهنة فيتمثل في الحفاظ على مصالحها، وذلك بأن لا يقدم مصالحه الشخصية على مصالحها؛ فلا إسراف في الإنفاق، ولا استغلال للمهنة من أجل مصالحه.
- فالطبيب مثلاً لا يستغل ما وضع تحت تصرفه من الأجهزة في سبيل معالجة أصحابه وقرابته من غير إذن صاحب العمل، كما أنه لا يسرف في استعمال الأدوات الطبية التي وضعت تحت تصرفه.
- والمشفى لا يستغل الطبيب في طلبه خارج أوقات دوامه في سبيل مصالحها.
- والمريض لا يستغل فرصة وجوده مع الطبيب في السؤال عن أعراض مرضية يعاني منها بعض من يخصونه ... وهكذا.
- وأما الحفاظ على حقوق الآخرين فتتمثل في عدم غشهم، أو خداعهم، أو التنكر لأماناتهم التي استودعوها إياه.

الأدلة الشرعية في الحث على الأمانة المهنية:

يدل لخُلُق الأمانة آياتٌ عديدةٌ من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، منها :

1- قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء 58). وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال 27).

فللآية الأولى تتناول الجانب الإيجابي في الأمانة، فتأمر بالحفاظ عليها، وأدائها على وجهها المطلوب، والثانية تتناول الجانب السلبي فيها، فتنهى عن الخيانة فيها، وهو ما يعني أيضاً أداءها على الوجه المطلوب.

ولا يخفى أن الأمانة المهنية تمثل جانباً مهماً من الأمانات المأمور بها. يقول القرطبي رحمه الله: هَذِهِ الْآيَةُ {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ} مِنْ أُمَّهاتِ الأحكامِ تَضَمَّنَتْ جميع الدِّينِ والشَّرعِ. والأظهرُ أنَّها عامةٌ في جميعِ النَّاسِ فهي تَتَناولُ الولاةَ فيما إليهم مِنَ الأماناتِ في قسْمةِ الأموالِ وردِّ الظُّلاماتِ والعدلِ في الحكوماتِ. وتتَناولُ مَنْ دونهم مِنَ النَّاسِ في حفظِ الودائعِ والتَّحرُّزِ في الشَّهاداتِ وغيرِ ذلك".

2- قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ* إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} (التحريم: 3).

وجه الدلالة في الآية أن الله سبحانه عَرَّضَ بملامة إحدى أزواج النبيﷺ على إفشائها ما أسَرَّ به ﷺ إليها، وعَدَّه من موجبات التوبة.

3- قال رسول الله ﷺ في صفات المنافقين: (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ). فعَدَّ خيانة الأمانة من علامات النفاق.

4- قال ﷺ : (مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ). أي أنه لا يجوز نقل كلام شخص وإفشاؤه، وإن لم يطلب كتمانه صراحة، أو يقل: هذه أمانة، بل يكفي أن يفهم منه ذلك بمجرد الإشارة؛ كالالتفاتة التي تشير إلى أن صاحبها يريد أن يخفي الخبر.

5- وصف الله المؤمنين المفلحين في كتابه العزيز بأوصاف كثيرة، من جملتها مراعاة الأمانة، فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المعارج 8).

والأدلة في الحث على الأمانة كثيرة جداً، وفي هذا القدر كفاية.

صور وتطبيقات للأمانة المهنية:

ذكر الفقهاء أن التحلي بخُلُق الأمانة من الضرورات المطلوبة لتولي المناصب أو تحمل المسؤوليات في الأمة، كالإمارة والقضاء والحسبة والإفتاء والولاية على اليتيم وعلى الصدقات (بيت المال) والوقف ...

وفيما يلي نستعرض بعض النماذج:

1- طلب أبو ذَرٍّ ﷺ من النبي ﷺ أن يوليه الإمارة، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا). فامتنع أن يوليه، لأن التولية أمانةٌ في عنقه، ويجب أن يستعمل فيها من يراه أهلاً لأدائها، وأبو ذرٍ رجلٌ ضعيف لا يصلح لها.

2- جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله متى الساعة؟ قال ﷺ : (إذا ضيّعت الأمانة فانتظر السّاعة). قال: كيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر السّاعة).

فجعل رسول الله ﷺ تولية غير الكفء في المنصب خيانةً للأمانة، وعلامة على فساد الأحوال، وقرب قيام الساعة.

3- لما أُتِي عمر ﷺ بتاجِ كسرى وسواره، جعل يُقلبهما بعودٍ فِي يده ويقول: والله إن الَّذي أدّى هذا لأمين! فقالَ رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يؤدون إليك ما أدّيت إلى الله، فإذا رتعت رتعوا. ثم قَامَ عمر فِي النَّاس خطيباً فكان مما قال: "أَلا وَإِنِّي مَا وجدت صَلَاح مَا وَلَّانِي اللهُ إِلَّا بِثَلَاث: أَدَاء الْأَمَانَة، وَالْأَخْذ بِالْقُوَّةِ، وَالْحكم بِمَا أنزل الله".

4- عندما أراد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما جمع القرآن بعثا إلى زيد بن ثابت ﷺ فقال له أبو بكر ﷺ (... إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ). ومعنى قولك لا نتهمك: أي أنك أمين. ومن هنا قال عامة أهل العلم بأنه ينبغي للسلطان والحاكم أن يتخذ كاتباً عاقلاً فطناً أميناً. وهكذا قالوا: في القاضي أيضاً والمحتسب والوصي وأهل المشورة وغيرهم ممن يوكل إليهم أمرٌ من أمور الناس. قَالَ سيدنا عَلِيٌّ ﷺ : "حَقٌّ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَيُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَحَقٌّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا وَيُجِيبُوا إِذَا دُعُوا".

5- ومن صور الأمانة التي تتجلى في أخلاق التجَّار ما ذكره فقهاؤنا في (بيوع الأمانة)، وهي البيوع التي يؤتمن فيها البائع على إخباره برأس مال السلعة، بأن يقول المشتري للبائع: اشتريت منك هذه السلعة بالثمن الذي اشتريتها به (وتسمى تولية)، أو بما اشتريتها به وزيادة كذا (وتسمى مرابحة)، أو بنقصان كذا (وتسمى وضيعة).

6- ومن صور الأمانة التي ذكرها فقهاؤنا أيضاً وتتعلق بأخلاق التجَّار الامتناع عن الغش والخداع في المهنة لقوله ﷺ: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا). **ومن صور الغش:**

أ - التدليس بما يوهم سلامة المبيع كما في قصة مرور النبي ﷺ بصُبرة طعام فأدخل ﷺ يدَه فيها، فأصابَها البللُ، **فقال:** (ما هذا يا صاحِبَ الطَّعَامِ؟) قال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي).

ب -التغرير بإظهار أوصاف مرغوبة في المبيع إيهاماً وخداعاً للناس، كما في التصرية، **وهي:** ترك حلب الدابة مدة من الزمن، حتى يجتمع قدرٌ كبيرٌ من الحليب في ضرعها، فيتوهم الراغب أنها كثيرة اللبن، فيقدم على شرائها، فيقع ضحية تغريره وخداعه.

- ✓ وقد حرَّم الشرعُ هذا العمل وعدَّه من الخداع والغش، والإخلال بالأمانة. قال ﷺ : (لا تَصُروا الإبل والغنم).
- ✓ ويلحق بهذا كل عمل من شأنه خداع الآخرين وإغراؤهم بالشيء، كأن يستخدم أصباغاً خادعةً تخفي حقيقة وضع السلعة، أو نكهات تخفي حقيقة الطعم الأصلي لها، أو أنواعاً من زيوت المحركات لإخفاء وضع محرك السيارة ساعة من الزمن حتى يتم بيعها، وهكذا.. وهذا كله تدليسٌ وغشٌ محرمٌ، ويخالف الأمانة الخُلقية.

ج- الخداع بما يوهم كثرة الراغبين في شراء السلعة ليرفع عليهم الثمن أو الأجرة، كما في النجش. **وهو:** أن يبدي شخصٌ رغبةً في شراء سلعة لا ليشتريها، بل لإغراء غيره بها، وإيهامه بكثرة الراغبين فيها. وهو أيضاً محرمٌ شرعاً، لقوله ﷺ: (ولا تناجشوا). ويلحق به ما يشبهه من أنواع الغش والخداع مما يستثير الناس، ويغري بالشراء.

د- ومنه المسترسل **وهو:** الشخص الذي يتصف بسلامة السريرة، ويجهل قيمة السلعة، ولا يحسن المساومة، فيطمئن إلى صدق البائع ويستسلم له، فيستغل البائع ذلك فيه، فيبيعه بغبن فاحش (أي بزيادة كبيرة لا تكون عادة بين المتبايعين استغلالاً لاسترساله) فقد قال الرسول ﷺ في النهي عن ذلك: (غبن المسترسل حرام) وفي روايات: (ربا). أي أن خداعه واستغلاله حرام شرعاً، وأن تلك الزيادة ربا ولا تحل. وحين أخبر النبي ﷺ عن رجل يُغْبَنُ (أي يُخدع) في بيعه، قال له النبي ﷺ : (إذا بايعت فقُلْ لَا خِلَابَةَ) ، أي؛ لا خديعة. بمعنى أني اشتريت منك بشرط أن لا تكون قد خدعتني. فإذا تبين أنه قد خدعه، كان له الخيار في إبطاله.

هـ - ومنه الغش في المكيال والميزان، وقد ورد التحذير منه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، بل إن سورة من سور القرآن الكريم **سميت باسم المطففين**، أي **المتلاعبين بالمكاييل والموازين**. **قال تعالى:** {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ}

✓ ولا شك أن الانتهاء عن هذه التصرفات من شأنها أن تؤسس لخلق الأمانة المهنية.

(اختبر نفسك)

❖ اختر الإجابة الصحيحة لكلٍ مما يأتي :

(1) التدليس بما يوهم سلامة المبيع كما في قصة مرور النبي ﷺ بصُبرة طعام يقدح في خلق:

(أ) الأمانة المهنية (ب) الاستقامة المهنية

(ج) الطهارة المهنية (د) التعاون المهني

(2) أن يبدي شخصٌ رغبةً في شراء سلعة لا ليشتريها، بل لإغراء غيره وإيهامه بكثرة الراغبين فيها يسمى:

(أ) الغش (ب) النجش

(ج) المسترسل (د) الاحتكار

... انتهت المحاضرة العاشرة ...

المحاضرة الحادية عشرة// خُلُق الاستقامة المهنية

معنى الاستقامة :

الاستقامة لغةً: تأتي بمعاني متعددةٍ منها: الثبات والدوام والملازمة، والاستواء وعدم الميل أو الاعوجاج، والاعتدال. والمحافظة على الشيء بما يصلحه. وبكل هذه المعاني وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

والاستقامة في الاصطلاح: عرفها الجرجاني بأنها: "الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور. وقيل: الجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي". وقيل "دوامُ قيامِ العِلمِ والعملِ بلا تركٍ".

وقيل: "التّمسّك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً".

وقال ابن القيّم رحمه الله تعالى: "هي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصّدق، والوفاء بالعهد. وتتعلّق بالأقوال والأفعال والأحوال والنّيّات. فالاستقامة فيها، وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله".

- ✓ والذي يظهر أن الاختلاف بين هذه التعريفات لفظيٌ، وأنها جميعاً تدور حول معنى واحدٍ، وهو لزوم الطاعة، والثبات عليها، والوفاء بالعهد والتوسط فيها.
- ✓ وهذه المعاني كلها مطلوبة في ممارسة المهنة، كما سيأتي.

الأدلة الشرعية في الحث على التحلي بالاستقامة:

حَثَّت آياتٌ وأحاديثٌ كثيرةٌ على وجوب التحلي بخُلُق الاستقامة، من ذلك:

1- قوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا} (هود: 112).

وجه الدلالة: أنها أمرت الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين بالالتزام والثبات والمداومة على ما جاءه من الله تعالى من أوامر ونواهي. قال ابن عاشور: "وقد جَمعَ قولُهُ: فاستَقِمْ كما أُمِرْتَ أصولَ الصَّلاحِ الدِّينيِّ وفروعه لقولهِ: كما أمِرْتَ ... وشملَ الطُّغيَانُ أصولَ المفاسِدِ، فكانت الآيةُ جامِعَةً لإقامَةِ المصالِحِ ودرءِ المفاسِدِ". والاستقامة المهنية فرع عن الاستقامة عامة، فتدخل فيها.

2- وَقالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (فصلت: 30).

وجه الدلالة في الآية: أنها تخبرنا أن الإيمان بالله من خلال القول غير كاف، حتى يضم إليه الاستقامة المتمثلة في الدوام والثبات على العمل الصالح. يقول ابن عاشور: "جَمع قولُهُ: {قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا} أصْلَيِ الكمالِ الإسلامِيِّ ... فالكمالُ علمٌ يقينِيٌّ وعملٌ صالحٌ، فمعرفةُ اللَّه بالإلهيَّةِ هي أساس العلم اليقينيِّ. وأشار قولُهُ: {استقاموا} إلى أساسِ الأعمالِ الصَّالحةِ وهو الاستقامةُ على الحقِّ، أي أن يكُونَ وسطاً غيرَ مائلٍ إلى طرفيِ الإفراطِ والتَّفريطِ".

3- قوله تعالى في صفات عباد الرحمن: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} (الفرقان: 67) أي أن هؤلاء العباد الصالحين يتصفون بالاعتدال حتى في حالة الإنفاق في أوجه البر، فلا إفراط ولا تفريط. وإذا كان هذا مطلوباً في الإنفاق مع حث الشارع عليه، فلأن يكون مطلوباً في غيره من الأمور المباحة أولى.

4- عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ ﷺ قال: قلت: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ. قَالَ: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ).

وجه الدلالة: أنه سأل الرسول ﷺ أنْ يُعلمه كلاماً جامعاً لأمر الإسلام كافياً حتّى لا يحتاجَ بعدَه إلى غيره، فأمره بالاستقامة من غير تخصيص بجانب معين من جوانب الحياة، فيكون شاملاً ومستغرقاً لجميعها بما فيها المهنة.

صور وتطبيقات للاستقامة المهنية:

رأينا أن من معاني الاستقامة الوفاء بالعهد وعدم نقضه والثبات والدوام عليه، ومن معانيه الاعتدال والتوسط، ومن معانيه تعهد الأمر والمحافظة عليه بما يصلحه. ويتجلى ذلك في كثير من المجالات التي ذكرها فقهاؤنا كالحُكْمِ والقضاء والمعاملات، **وفيما يلي ذكر لبعض هذه المظاهر:**

1- الوفاء بالمعاهدات والاتفاقيات التي يعقدها الحاكم المسلم مع غيره من الحكام في مختلف المجالات، فإنه يجب عليه الوفاء بها. ومثال ذلك ما وقعه النبي ﷺ مع قريش (صلح الحديبية)، وكذا مع يهود بني قريظة وبني النضير، والتزم بها النبي ﷺ بأمر الله حتى صدر منهم النقض والغدر. لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} (المائدة:1)، وقوله عزَّ من قائلٍ: {فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} (التوبة: 4)، ولو مات الحاكم الذ عقد المعاهدة أو عُزِل لم يَجزْ لمن يأتي بعده نقض ما عقده وإن رأى فساده؛ لأنَّ الأوَّل عقدها باجتهاده، فلم يَجُزْ نقضُهُ باجتهاد غيره.

2- الوفاء بالعقود والشروط التي تكون في عقود الزواج أو التجارات أو عقود العمل أو غيرها من العقود، فإن واجب الطرفين شرعاً الوفاء بما كان بينهم من شروط لقوله ﷺ (المسلمون على شروطهم). فالحديث عام في إيجاب الوفاءِ بِجميع ما يَشترطُهُ الإنسانُ على نفسه، ما لم تَقُمْ دلالةٌ تُخَصِّصُهُ يقول ابن القيم رحمه الله: "الشَّرطُ الجائزُ بمَنزلة العقد، بل هو عقدٌ وعهدٌ، وقد قال اللَّهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: 1] وَقَالَ: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا} الشُّروطُ في حَقِّ المكلَّفين كالنَّذر في حقوق رب العالمين، فكلُّ طاعةٍ جاز فعلها قبل النَّذر لزمت بالنَّذر، وكذلك كلُّ شرطٍ قد جاز بذلُهُ بدون الاشتراطِ لزِمَ بالشَّرطِ، فمقاطعُ الحقوقِ عند الشُّروط".

وعليه فإن القاضي والطبيب والمهندس والمحاسب وغيرهم كلٌ في مهنته مطالب بأن يُلِمَّ بالقوانين والأنظمة النافذة ويطبقها دون أي تجاوزٍ أو مخالفةٍ أو إهمالٍ، وأن يلتزم بمتطلبات المهنة فيحرص على الدوام، ولا يتغيب أو يتأخر عن عمله إلا في حالات الضرورة، لما في ذلك من إضرار بمصالح المهنة، ومنافاةٍ للوفاء بالعقود، وقد قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ}(المائدة:1).

3- لزوم التوسط والاعتدال في أداء الطاعات والأعمال، فإن خير الأمور الوسط، وقد رأينا كيف أن الله أثنى على عباده المؤمنين الذين يَلْزَمونَ التوسطَ والاعتدالَ في الإنفاق في سبيل الله.

وكذلك أوجب الله النفقة للزوجة على زوجها، وللولد على والده بالمعروف، وهو التوسط والاعتدال، فقال تعالى: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: 233)، وقال ﷺ لهند زوجة أبي سفيان حين اشتكت من شُح زوجها رضي الله عنهما: (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف). قال القرطبي: "أَيْ بِالْمُتَعَارَفِ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيطٍ وَلَا إِفْرَاطٍ".

وكذا الحاكم والوالي والوصي على اليتيم، والشريك المضارب بالمال يتاجر به، يأخذون نفقتهم من المال الذي بين أيديهم بالمعروف، فعن عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: لما استُخلِفَ أبو بكرٍ الصِّديقُ ﷺ، قال: (لقد عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا المَالِ، وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ).

قال البغوي: "يجوزُ للوالي أن يأخذَ من بيت المال قدْرَ كِفَايَتِهِ من النَّفَقَةِ، والكِسْوَةِ لنفسه، ولمن يَلزَمُهُ نَفَقَتُهُ.."وقالت عائشةُ رضي اللَّه عنها "يأكُل الوصيّ بقدر عمالته لقوله تعالى: {وَمن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُل بِالْمَعْرُوفِ} قالت: أنزَلَ اللَّهُ ذلك فِي والي مَالِ اليتيم يقومُ عليه بما يُصلِحُهُ إن كانَ مُحْتَاجاً أن يأكل منه". وقال عمرُ ﷺ "إني أنزلت نفسي من مال اللَّه بمنزلة قَيِّم اليتيم إن استغنيتُ عنه تركتُ وإن افتقرتُ إليه أكلتُ بالمعروف".

✓ وفي هذا القدر كفاية لبيان ضرورة التحلي بخُلُق الاستقامة عموماً وفي المهنة على وجه الخصوص لما لها من أثر عظيم على استقرار أحوال الناس وصلاح معايشهم.

(اختبر نفسك)

❖ اختر الإجابة الصحيحة لكلٍ مما يأتي :

(1) لزوم التوسط والاعتدال في أداء الطاعات والأعمال يندرج في خلق:

(أ) الاستقامة المهنية (ب) الأمانة المهنية

(ج) الطهارة المهنية (د) التعاون المهني

(2) الوفاء بالمعاهدات والاتفاقيات التي يعقدها الحاكم المسلم مع غيره يندرج في خلق :

(أ) الأمانة المهنية (ب) الاستقامة المهنية

(ج) الطهارة المهنية (د) التعاون المهني

... انتهت المحاضرة الحادية عشرة ...

المحاضرة الثانية عشرة// خُلُق التعاون المهني

تعريف التعاون المهني:

التعاون لغة: المساعدة، مِنْ عاونه وأعانه إذا ساعده وكان ظهيراً له. **والمعاون:** المساعد والظهير على الأمر.

وليس للتعاون معنى اصطلاحي خارج عن معناه اللغوي.

- ✓ فالمقصود بهذا الخُلُق أن يساعد أطراف المهنة بعضهم في أدائها بروح الفريق.
- ✓ وإنما يتحقق ذلك بالتزام الأطراف تسييد معاني الأخوة، والتناصح، والشورى والصبر على المكار.

الأدلة الشرعية في الحَثِّ على التعاون:

وردت آيات وأحاديث كثيرة تحث المسلم على التحلي بخلق التعاون، منها:

1- قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى} (المائدة: 2).

وجه الدلالة في الآية أنها أمرت المؤمنين بالتعاون على البِر والتقوى، والبر اسم جامع لكل خير، ولا شك أن التعاون على أداء المهنة ومتطلباتها أحد صورها، مادامت في إطار الحلال، فيكون مأموراً به.

2- قوله تعالى على لسان ذي القرنين: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً} (الكهف:95). وذو القرنين؛ هو مَنْ هو في قوته ودهائه، وقد طلب العون لإنجاز ما يريدونه، لأن الفرد قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

3- قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: {واجعلْ لِّي وزيراً مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} (طه: 29– 32).

وجه الدلالة أن موسى عليه السلام سأل الله أن يجعل أخاه هارون عليه السلام وزيراً له، (والوزير من المؤازرة، وهي المعونة والمساعدة)، ليعينه في حمل أعباء الدعوة إلى الله، وتبليغ الرسالة، لما لذلك من دورٍ مهم في أداء المهمة على الوجه الأكمل.

4- قوله ﷺ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

وجه الدلالة في الحديث أنه يحث المسلم على التيسير على المعسر والسعي في قضاء حوائج الناس سواءٌ كان هذا السعي في نفعهم بعلم أو مال أو جاه أو نصح أو دلالة على خير أو إعانة بنفسه أو سفارته أو وساطته أو شفاعته أو دعائه له يظهر الغيب". وإذا كان هذا مطلوباً بين المسلمين عامة، فلأن يكون مطلوباً بين أطراف المهنة الواحدة من باب أولى.

5- قوله ﷺ (إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً. وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ).

وهذا الحديث كسابقه يحث على التعاون والتعاضد بين المؤمنين، وأطراف المهنة أولى الناس بذلك بلا شك

كيف يتحقق التعاون بين أطراف المهنة؟

يتحقق التعاون بين أطراف المهنة على أكمل صورة بتحقق جملة الأمور:

أولاها: استحضار معنى الأخوة مع زملاء المهنة، وهذا أهم الشروط لتحقق التعاون المهني، إذ تكاد الشروط الأخرى تكون نابعة ومتفرعة عنه، فالأخوة تستلزم الترفع فوق الأنا، وتستلزم السماحة، والصبر على المكاره، وإسداء النصح وغيرها من المعاني التي نبه إليها الرسول ﷺ في جملة من الأحاديث، لعل من أجمعها قوله ﷺ: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)، فإذا استحضر أطراف المهنة هذه الإخوة وما يتفرع عنها من الحقوق ساد بينهم التعاون والتكاتف، والعمل بروح الفريق وحقق ذلك مصالح المهنة على أكمل وجه.

ثانيها: إنكار الذات والترفع عن الأنا، والالتفات إلى روح الجماعة والتعاون، وبقدر ما يستطيع أطراف المهنة التخلص من أنانيتهم، يكون التعاون بينهم أكبر، ويكون ذلك في صالح المهنة، وقد اعتبر الرسول ﷺ هذا المعنى علامة على استكمال الإيمان فقال: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

ثالثها: السماحة في التعامل مع زملاء المهنة، والتحلي بكرم النفس، والتماس الأعذار لهم، واحتساب ذلك عند الله سبحانه، فالمؤمن هين لين، يألف ويؤلف، ويقول ﷺ : (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحاً إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى).

رابعها: الصبر على المكاره، وذلك أن ممارسة المهنة تستلزم المخالطة، ولا بد في المخالطة من مواجهة تصرفات قد لا تعجبك، أو تلحق بعض الأذى بك بقصد أو بغير قصد، من زملاء المهنة، أو من غيرهم من الأطراف المستفيدة من المهنة، ومن ثم كان الصبر مطلوباً لتحقيق التعاون المهني، وقد حث الرسول ﷺ على الصبر على أذى الناس بقوله: (المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم).

خامسها: بذل النصيحة لأطراف المهنة المختلفة، لأنها حق المسلم على أخيه المسلم، وهذا الحق يتأكد كلما كانت الخلطة أكثر، والحاجة أشد كما هو الحال بين أطراف المهنة. روى تميم الداري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ). ولا يخفى أن بذل النصح وجه من وجوه التعاون على البر والخير والنفع.

صور وتطبيقات يتجلى فيها خُلُق التعاون:

هناك تصرفات وعقود كثيرة ذكرها فقهاؤنا ويتجلى فيها صور التعاون بين أطرافها، من ذلك:

1- التنافس الشريف فيما يكون فيه صالح المهنة ونفعها، والذي يحرص فيه كل طرف أن يبذل ويضحي أكثر من غيره من أطراف المهنة في سبيل تحقيق نجاح أكبر للمهنة، ومثل هذا التنافس محمود ومطلوب، ويمكن اعتبار قول النبي ﷺ يوم بدر للمجاهدين: (مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ)، من هذا القبيل.

2- مما ورد من الصور العملية لهذا الخُلُق عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم: أن أبا بكر الصدِّيق ﷺ كان يحلبُ للحيِّ أغنامهم، فلمَّا استُخلِف، قالت جاريةٌ منهم: الآن لا يحلُبُها، فقال أبو بكر ﷺ : بلى وإني لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلتُ فيه عن شيءٍ كنتُ أفعلُه.

وكان عمر يتعاهد الأرامل فيستقي لهنَّ الماءَ باللَّيل.

وكان أبو وائل يطوفُ على نساء الحيِّ وعجائزهم كلَّ يوم، فيشتري لهنَّ حوائجهنّ وما يُصلِحُهُنَّ.

وبعث الحسنَ البصريَّ ﷺ بعض أصحابه في قضاء حاجة لرجل، وقال لهم: مُرُّوا بثابت البناني فخذوه معكم. فأتوا ثابتاً، فقال: أنا معتكف. فرجعوا إلى الحسن فأخبروه. فقال: قولوا له: يا أعمش أما تعلم أنَّ مشيك في حاجةِ أخيك المسلم خير لك مِنْ حجة بعد حَجَّةٍ؟ فرجعوا إلى ثابتٍ، فترك اعتكافه وذهب معهم.

3- من الصور التي ذكرها الفقهاء ويتجلى فيها خُلُق الإعانة (الإقالة في العقود)؛ وتعني فسخ العقد وإبطاله تلبية لرغبة أحدهما، بعد إبرام العقد، ولزومه وترتب آثاره؛ أي أن أحد الطرفين يندم على الصفقة بعد إبرامها ولزومها، فيأتي صاحبه، ويبدي له ندمه، فيستجيب له صاحبه تقديراً لظروفه، ويقبل بفسخ العقد تنفيساً لكربته، ورعاية لحق الأخوة التي قررها الشرع. وقد أجمع الفقهاء على أن الإقالة مندوبة، وأنها من باب التعاون على البر، وقد قال فيها ﷺ: (من أقال مسلماً عثرته، أقال الله عثرته يوم القيامة). والإقالة كما تكون في البيوع قد تكون في الإجارات، وقد تكون بين مريض وطبيب أو مريض ومشفى، أو طبيب ومشفى، أو مهندس وشركة مقاولات، أو من يريد إنشاء مبانٍ ومحلات تجارية ومهندس .. وهكذا.

4- حرمت الشريعة المنافسة غير الشريفة، لأنها توغر الصدور، وتجلب الحقد والكراهية، وتنافي أخوة الدين، والتعاون على البر، ومن صور تلك المنافسة غير الشريفة؛ الخِطبة على الخِطبة، أو البيع على البيع. قال ﷺ: (لا يخطِب أحدكم على خِطبة أخيه، ولا يبع على بيع أخيه، إلا بإذنه). فالذي يقدم على خِطبة امرأة، من بعد أن تمت خِطبتها، وتم الاتفاق، يَقْدِمُ على عملٍ مشين، وكذا من يسعى لنقض عقد بيعٍ قد تمَّ وأُبرم، فيقول للمشتري: ردَّ عليه سلعته وأبيعك مثلها بأرخص، أو أبيعك أحسن منها بنفس السعر! ومثل هذا العمل مذموم لا يرضاه الله لعباده المؤمنين، وينافي خلق الأخوة والتعاون الذي يحث عليه الدين.

5- عدم بخس أشياء الناس بتعييبها والتزهيد فيها والمخادعة في قيمتها، خلافاً لما يفعله البعض ويعتبره شطارة وذكاءً. فقد نهى الله عن هذا الخُلُق فقال: {وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} (الْأَعْرَاف:85)، وأمر بدلاً من ذلك ببذل النصح لأخيه المسلم، فقد كان رسول الله ﷺ يبايع أصحابه على بذلها لكل مسلم، كما يأخذها عليهم المبايعة في الفرائض، ومن صور ذلك ما حصل مع جرير بن عبد الله الجلي ﷺ حيث أقدم على شراء فرس، فطلب صاحبها مائتي درهم، فوجد جرير أن الفرس تستحق أكثر، وأنه يجهل قيمتها، فزاده في سعرها إلى ثلاث مائة، فوافق البائع، فنظر جرير فوجد أنه فرسه تستحق أكثر، فزاده إلى أربع مائة ... حتى أوصلها إلى ثمان مائة درهم، ثم قال: (بايعت رسول الله على السمع والطاعة، فشرط عليَّ: والنصح لكل مسلم)، ولا يخفى عظمة هذا الخُلُق الذي يدعو إليه الإسلام، وأثره في نشر الإخاء والتعاون بين أبناء المجتمع عامة، وأطراف المهنة خاصة.

(اختبر نفسك)

❖ اختر الإجابة الصحيحة لكلٍ مما يأتي :

(1) إنكار الذات والترفع عن الأنا، والالتفات إلى روح الجماعة والتعاون يندرج في خلق:

(أ) التعاون المهني (ب) الاستقامة المهنية

(ج) الطهارة المهنية (د) الأمانة المهنية

(2) قول النبي ﷺ : (إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً) يفيد الحث على خلق :

(أ) الاستقامة المهنية (ب) التعاون المهني

(ج) الطهارة المهنية (د) الأمانة المهنية

... انتهت المحاضرة الثانية عشرة ...

المحاضرة الثالثة عشرة// خُلُق المحبة المهنية

تعريف المحبة:

الحب لغة: نقيض البغض. **وهو:** الوُدُّ، وميلُ الطبع إلى الشيء الملذ. **والتحبب:** إظهار الحب. والتحابُّ: التوادُّ.

- ✓ وليس للحب معنى اصطلاحي خارج عن معناه اللغوي.

أنواع المحبة: للمحبة أنواع متعددة، منها:

1- محبة إيمان وكمال طاعة وتعظيم مطلق، وهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله. قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} (البقرة: 165)، فتتمثل في حب الله وحب ما أمر به الله كحب رسوله ﷺ، وحب آل بيت رسوله، وحب تلاوة القرآن، وحب الإنفاق في سبيل الله، وقال ﷺ : (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ).

2- محبة فطرية جِبِلِّيةٌ كحب الولد، وحب المال، وحب الحياة، وحب الطِّيب، وحب الماء البارد على الظمأ وهي أشياء يستوي في حبها المؤمن والكافر، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، فالجميع مفطورٌ عليه، كما في قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ} (آل عمران: 14).

3- محبة تقدير وإعجاب: كحب عقبة بن نافع، أو عبد الرحمن الداخل، أو صلاح الدين الأيوبي أو محمد الفاتح لبطولاتهم والفتوحات التي أجراها الله على أيديهم، وحب حاتم الطائي لكرمه، وعنترة لشجاعته، ومنه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} (الحشر:9).

4- محبة أنس وألفة ونفع ومصلحة، كحبك لمهنتك، وحبك لمدينة معين كدمشق مثلاً، وحبك لعلم معين كالأدب مثلاً وحبك لمن قدَّمَ إليك يد العون والمساعدة.

- ومن هذا القبيل ما يألفه البعض ويستأنس به من الرذائل والآثام كحب الغيبة والنميمة وحب الفواحش، كما أخبر عنهم ربنا تبارك وتعالى بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النور:19).
- وأكثر أنواع المحبة التصاقاً ببحثنا هو النوع الأخير، وهو الحب المبني على المصلحة والمنفعة بين أطراف المهنة كما لا يخفى.
- وتبدأ المحبة بالتوادد، وتنتهي بالتراحم والتعاطف كما بينها ﷺ بقوله: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى). فإذا بلغت المحبة هذا المبلغ، بحيث يكون الناس كالجسد الواحد، فإن ذلك غاية المطلوب، وأقصى ما يمكن أن يسعى فيه المرء.
- وأقصى ما يمكن لأطراف المهنة أن يسعوا فيه لتتحقق مصالح المهنة وأهدافها.

الأدلة الشرعية في الحث على التحلي بخُلُق المحبة:

يدل لخلق المحبة آيات وأحاديث كثيرة، منها:

1- قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ} (الحشر: 9).

فقد امتدح الله الأنصار لاتصافهم بخلق المحبة والإيثار، فعلى الرغم من أن الله قدم ذكر المهاجرين على ذكرهم، وأعطى المهاجرين من الفضل والشرف أكثر مما أعطاهم، فإنهم لم يتأثروا بذلك، ولم تتمكن دوافع الغيرة والأنانية والحسد من التأثير في نفوسهم الطيبة الطاهرة، فأثبت الله لهم هذه الصفة الخلقية الراقية.

2- وقال تعالى: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (النحل: 128) فالآية تثني على المحسنين، والإحسان من خلق المحبة المهنية.

3- عن أنس بن مالكٍ، قالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مَاءً مِنْ وَضُوئِهِ مُعَلِّقٌ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحِلَّ يَمِينِي فَعَلْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَيُسْبِغَ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ كِدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا هِجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثِ مَجَالِسَ: (يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ آوِي إِلَيْكَ فَأَنْظُرَ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ).

وجه الدلالة في الحديث أن هذا الرجل لم يبلغ ما بلغه من ثناء وشهادة رسول الله ﷺ في حقه بكثرة عبادة، وإنما بسلامة صدره من الغش والحسد تجاه المسلمين، وهذا هو المقصود بخُلُق المحبة.

كيفية تحقق خُلُق المحبة المهنية:

يتحقق خلق المحبة المهنية بتوافر أمور، منها:

1- تقديم مصلحة المهنة على مصالحه الشخصية، وتسخير معظم جهده وفكره في سبيل تطوير مهنته، وجعلها أنفع وأكمل وأنجح. وبذلك يثبت إخلاصه لها، وصدقه معها، وهو سبيله إلى إتقانها.

فالمدرس الذي يحب مهنته هو الذي يجعل مهنة التدريس شغله الشاغل، ويسعى دائماً لتطويرها، مسخراً وقته وجهده وعلمه وعلاقاته بالآخرين لتطويرها والتقدم بها. ويقال مثل ذلك في الطبيب والمهندس والمحاسب والمحامي والقاضي.

2- الانتصار للمهنة بالدفاع عنها وعن العاملين فيها، وهذه نتيجة طبيعية لما تقدم، بمعنى أنه إذا أحب مهنته، وأخلص لها، أدى ذلك بداهة إلى دفاعه عنها، وغيرته عليها، وعلى العاملين فيها، ورأى فيها نفسه، وسمعته، ومستقبله.

وهذه المحبة ستدفعه إلى الوقوف في وجه كل من يشوه سمعتها، أو يسيء إليها، وإنْ كان من العاملين فيها، لأنه يرى في ذلك حمايتها والانتصار لها، وذلك بالمفهوم الذي نبه إليه الرسول ﷺ حين قال: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا). فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: (تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ).

فأنا عندما آخذ على يد ولدي أو صديقي فأمنعه من الظلم، أكون قد نصرته، لأني أنقذته من غضب الله، وصنت سمعته وسمعتي بين الناس، وسعيت في إرساء مبادئ العدالة التي بها قامت السماوات والأرض، وكذلك الانتصار للمهنة بالأخذ على يد المسيء إليها حفاظاً على سمعتها، وسمعته وسمعة العاملين بها، وسعياً لتحقيق نجاح المهنة في بلوغ أهدافها على أكمل وجه.

3- من وسائل تحقيق المحبة بين الناس عامة، وبين أفراد المهنة على وجه الخصوص، إفشاء السلام، وذلك لكثرة ما يكون بينهم من الالتقاء والمواجهة، فتكون الحاجة إليه أشد. فالسلام اسم من أسماء الله تعالى، وإلقاؤه على الآخر يعني تطمينه بأنه لن يجد الأذى أو ما يخيفه من جهتك، فهو في أمان منك، وبذلك تفتح طريقك إلى قلبه، فتتولد المحبة بينكما، وتمتد جسور التواصل، وفي الحث على ذلك يقول الرسول ﷺ : (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ).

4- طلاقة الوجه والتبسم في وجوه الآخرين، وإلا فما قيمة سلام بوجه عبوس؟ إن السلام الذي يجلب المحبة، ويفتح طريقه إلى القلوب، هو الذي يصاحبه البشاشة وطلاقة الوجه، لأنها الدليل الأقوى والأفصح لما يُكِنُّه القلب، ومن ثَمَّ جاء الشرع بالحثِ عليه فقال ﷺ: (تبسمك في وجه أخيك صدقة). وقال أيضاً: (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ).

5- الاعتناء بالنظافة الشخصية والزِّي المناسب للمهنة والرائحة الطيبة؛ لأن الذوق السليم يألف هذه الأشياء، وينفر مما يضادها، وديننا الحنيف دين الألفة والمودة والذوق الرفيع، ومراعاة المشاعر، ولذلك حثَّ المسلم على الاغتسال لكل تجمع مثل صلاة الجمعة، وصلاة العيد، وللإحرام بالحج والعمرة، وأمرنا بأن نكون كالشامة بين الناس، وما الوضوء للصلوات والاغتسال إلا أدلة عملية على مدى حب الدين للنظافة. وفي هذا السياق جاءت الآية القرآنية: {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}(الأعراف:31)، وقال ﷺ لأصحابه: (إنكم قادِمُونَ على إخوانِكم، فأصْلِحُوا رِحَالَكُم، وأصْلِحُوا لباسَكُم، حتى تكونوا كأنكم شامةٌ في الناسِ، فإن الله لا يُحب الفُحْشَ ولا التفَحُّشَ).

6- إكرام ذوي الهيئات والمكانة والجاه، وإنزالهم المنزلة التي تليق بهم، والتجاوز عن عثراتهم، فليس كل الناس سواءٌ، إذ في الناس من تردعه الإشارة، وفيهم من لا يردعه إلا العقوبة القاسية، وبين المرتبتين مراتب كثيرة، كلٌ بحسب تربيته وأخلاقه، ومنزلته العلمية والاجتماعية، وقد راعى ديننا الحنيف ذلك في الناس فلم يجعلهم سواء في ارتكابهم للمحذورات الشرعية، **<u>وجعل الخطأ على نوعين:</u>** *خطأ يستوجب إقامة عقوبةٍ مقدرةٍ شرعاً ويسمى الحدود*، وهذه لا مراعاة فيها، وتقام على الجميع أياً كانت صفته أو مركزه في المجتمع لخطورتها. *وخطأ لم يقدر له عقوبة محددةً، وإنما فيه التعزير؛ لأنه ليس بخطورة سابقه*. وهذا الأخير هو الذي يراعى فيه أصحاب المكانة والوجاهة؛ لأن الغرض منه التأديب والردع لئلا يقع فيه ثانية. وأصحاب الهيئات يكفيهم التنبيه والإشارة ليرتدعوا، بخلاف من لا تردعه إلا العقوبة، وقد قال ﷺ: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود).

7- إشعار العاملين بأنهم محل ثقة وتقدير واحترام المسؤولين، والسعي فيما يريحهم في مواصلاتهم وإجازاتهم وأماكن عملهم، وقد أوصى النبي ﷺ بالعبيد خيراً فقال: (إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُم). فإذا كان هذا مع عبده، فكيف يجب أن يكون مع حرٍ مثله، بل زميله في المهنة!.

8- إيثار زملائه والمستفيدين من الخدمة على نفسه، وتأخير حظوظه عنهم، وهذ مرتبةٌ ساميةٌ لا يطيقها إلا ذووا النفوس الراقية، وهي فوق الإحسان في سُلَّم القيم الأخلاقية، وسبب رئيس للفوز بمحبة الله ومحبة العباد، وقد أثنى الله على الصحابة الأنصار لتحققهم بهذا الخلق العظيم، فقال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} {الحشر:9}. والخصاصة شدة الجوع، أي أنهم كانوا يؤثرون ويقدمون غيرهم على أنفسهم فيما يملكونه من زادٍ، مع شدة حاجتهم إليه، وليس يدفعهم إلى ذلك إلا الطمع فيما عند الله.

ولا يخفى مدى أهمية هذه الأمور في تحصيل وتحقيق المحبة المهنية.

صور وتطبيقات لخُلُق المحبة:

ذكر العلماء صوراً وتطبيقات وأحكام فقهية من شأنها أن تؤسس للمحبة المهنية، نشير إلى بعض منها:

1- استئذان المرؤوس من الرئيس:

الاستئذان من الرئيس مطلوب، ومن آداب اللياقة، ويحقق وينمي المحبة بين الرئيس ومرؤوسيه، كما أن عدمَ الاستئذان من الرئيس وتجاهلَه يَنِم عن كِبر، ويتسبب في تنافر وتباغض بين القلوب، ومن ثمَّ وجدنا القرآن الكريم يحث على هذا الخلق الرفيع في أكثر من موضع، من ذلك قوله تعالى في المطالبة بالاستئذان بصفة عامة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النور:27)، وفي الحث على الاستئذان من الرئيس خاصة يقول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} (النور:62). فدلالة الآية على أدب الاستئذان واضحة جلية، لا تحتاج توضيحاً أكثر.

2- إفشاء السلام ورده:

عامة الفقهاء على أن إلقاء السلام مندوب إليه شرعاً، لقوله ﷺ في الحديث آنف الذكر: (أَوَلَا أدلُكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم)، وقال بعضهم بوجوبه لقوله ﷺ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ). قِيلَ: مَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: (إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ).

وأما الرد فواجب؛ لعموم قوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} (النساء:86). فقد أمرت الآية بالرد وجوباً.

ولا يخفى أن السلام عموماً من عوامل زرع المحبة بين الناس، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق، ومن ثمَّ كان مطلوباً شرعاً.

3- الإحسان إلى الجار:

قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً} (النساء:36).

وجه الدلالة في الآية أن الله سبحانه أمر المؤمن بالإحسان إلى الجار القريب نسباً وقيل: الزوجة. كما أمر بالإحسان إلى الجار الجنب، وهو الغريب عن القوم أو القبيلة وقد نزل بينهم، وكذلك أمر بالإحسان إلى الصاحب بالجنب، وهو رفيق السفر أو الضيف، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "جملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه. في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاماً، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين". قال ﷺ: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)، وقال: (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ) قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ).

فإذا كانت كل هذه الحقوق مقررة في الشرع للجار، فإن زميل المهنة لا ينبغي أن يقل عنه؛ لأنه أيضاً جار، وهو جار العمل، يتكرر لقاؤهم يومياً، وتكثر مخالطتهم لبعضهم، فينبغي أن يعامل بنفس القدر من الاحترام والإحسان والرفق.

(اختبر نفسك)

❖ اختر الإجابة الصحيحة لكلٍ مما يأتي :

(1) تقديم مصلحة المهنة على مصالحه الشخصية، وتسخير جهده لتطوير مهنته يندرج في خلق:

(أ) المحبة المهنية (ب) التعاون المهني

(ج) الطهارة المهنية (د) الأمانة المهنية

(2) الاستئذان من الرئيس مطلوب، ومن آداب اللياقة، ويحقق وينمي :

(أ) التعاون المهني (ب) المحبة المهنية

(ج) الطهارة المهنية (د) الأمانة المهنية

... انتهت المحاضرة الثالثة عشرة ...

المحاضرة الرابعة عشرة// نماذج من أخلاق وآداب المهنة

عناية علمائنا بأخلاق وآداب المهنة قديماً

اعتنى علماؤنا منذ القديم ببيان الأخلاق والآداب التي تخص المهن المختلفة، وصنفوا فيها مصنفات كثيرة، نشير إلى بعضها فيما يأتي:

كتاب آداب الملوك، لعلي بن رزين الكاتب (عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري- الثاني عشر للميلاد). ألفه للملك العادل، ملك موصل. جاء في مقدمته ما نصّه: قد عَمِلَ الحكماءُ والعلماءُ بالسياسات من العرب والعجم والهند في آداب الملوك كتباً، أطالوا فيها الكلام، وسطّروا فيها الأساطير ..." وتضمن الكتاب أربعين باباً تحتوي على نصائح واقعية، ووصايا عملية، موجهة إلى الملك وأولاده، كحسن التدبير، والشجاعة، والعلم، والعدل، و حسن التصرف في الأموال.

كتاب الإشارة الى أدب الوزارة، للوزير لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ) مطبوع. تكلم فيه عن وظائف الوزير والآداب التي تلزمه. وكان يستهل كل فقراته بعبارة: "أيها الوزير الصالح" ومما ورد فيه: "وكان الوزير فيهم يُشترط فيه: أن يكون قديم النِّعمة، بعيد الهمة، مكين الرأفة والرَّحمة، كريم العيب، نقي الجيب، مسدّد السهم، ثاقب الفهم

موفور الأمانة، أصيل الدّيانة، قاهراً للهوى، مستشعراً للتقوى، مشمراً عن الساعد الأقوى، جليل القدر، رحيب الصَّدر، مشهور العِفَّة، معتدل الكفة ... مؤثراً للصدق، صادعاً بالحقِّ، حافِظًا للأسرار، مؤثراً للأبرار، مباينا بطبعه لخلق الأشرار". ولا يخفى سمو هذه الصفات.

كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة، لأبي بكر محمد بن الحسن القيرواني (ت489هـ). كُتب بأسلوبٍ سلسٍ، وبنفسٍ تربوي تهذيبي، وامتلأ بالحِكم والنصائح والآداب المرتبطة بالملوك والأمراء، وقد رتبه على ثلاثين باباً بعدد أيام الشهر، وقال: "إذا تفطن الفطن منها كل يوم باباً لم يأت عليه الشهر إلا وقد حفظ صدراً كبيراً من الحكمة، وتعلم أصلاً من السياسة. ومما تضمنته فصوله: "الحضّ على القراءة والتَّعلُّم، وآداب النَّظر والتَّفهُّم، والاستشَارة وصِفة المُستشار، ورياضة النَّفس قبل الحاجة، والكلام والصَّمت، والحلم والصّبر، وترك الحلم إذا أدَّى إلى الفَساد، والغضب والرِّضا، والتَّجبر والخضوع، والكتمان والإذاعة، والحرب والمُسالمة، والحيلة والمَكر الخديعة".

كتاب أدب الطبيب، للطبيب إسحاق بن علي الرهاوي (ت319). ويتناول الكتاب أخلاقيات مهنة الطب، وما ينبغي أن يتأدب به الطبيب، سواء في سماته الأخلاقية، أو في سلوكه المهني، ومدى التزامه بشرف مهنته، ومدى الشفافية والمصداقية في امتحان الأطباء الجدد حتى يمكن الفصل بين الأطباء الحقيقيين والجهلة المحتالين على حد قوله؛ لأن ثمن الخطأ في هذه المهنة باهظ، وعائد الاحتيال فيها مُهلك. قال: (وقد تكلفت جمع ما قدرت عليه من الآداب التي ينبغي للطبيب أن يؤدب بها نفسه، والأخلاق المحمودة التي ينبغي أن يُقَوِّمَ بها طبعه، وذكرت طرفاً من التدابير التي ينبغي أن يدبر لها جسمه).

كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، للإمام بدر الدين ابن جماعة (ت733 هـ). جمع فيه مصنفه آداباً كثيرة تخص طلب العلم يتحلى بها الشيخ والطالب، وقد وضع فيه أبواباً عدة في فضل العلم وشرف أهله، وأدب العالم، ومراعاة الطالب، وأدب المتعلم مع نفسه وشيخه ورفقته، ومصاحبة الكتب وما يتعلق بها من الأدب، وآداب سكنى المدارس للشيخ والطالب مع تفصيل كبير في ذلك.

كتاب أدب القضاء، لابن أبي الدم (ت642هـ). وهو كتاب يجمع بين الأدب والفقه، حيث يبحث في الآداب والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها القاضي، وكذلك يبحث في أحكام القضاء وفقهه، والشهادة والشهود وكيفية أداء الشهادة، وصور المحاضر والسجلات ، وغير ذلك من أحكام القضاء وآدابه.

كتاب في آداب الحسبة، لأبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي. قال المصنف في مقدمته" تَحَصَّلَ في فهمي، وتقرر في الحقيقة علمي، من أخبار مفسدي الباعة والصناع بالأسواق وغشهم في الكيل والميزان وبخسهم واستعمالهم الخدع للناس في معاملتهم، والتلبيس عليهم في مداخلتهم وملابستهم، وإحراز الحسبة وتقلد النظر في أمورهم من لا يُحسن لذلك تناولاً، ولا يعرف من الحلال والحرام مفصلاً ومجملاً، ما لم يسعني معه إلا التنبيه على مكرهم، والقول بالمعروف في ذكرهم ...".

وثمة مؤلفات أخرى لا تقل أهمية مما ذكرنا، منها:

كتاب التاج في أخلاق الملوك، لأبي عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (ت255هـ). تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية1332هـ-1914م.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ت 463 هـ) تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة بيروت 1417هـ-1996م.

آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، للإمام النووي. تحقيق: بسام الجابي، طبعة: دار الفكر دمشق1408ه.

أدب القاضي، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت: 450هـ). تحقيق محيي هلال السرحان، بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة الإرشاد، 1391هـ - 1971.

أخلاق وآداب المهنة في العصر الحديث

درج العاملون في كثير من المهن في عالم اليوم على وضع مواثيق لمهنتهم، أسموها ميثاق الشرف، وهذه المواثيق في معظم بنودها محل اتفاق بين العقلاء، وقد تختلف في بعض الجزئيات من بلد إلى بلد حسب القيم التي يتبناها أهل كل بلد، كما أنها تختلف في بعض بنودها من مهنة إلى أخرى مراعاة لطبيعة المهنة وما يناسبها. وفيما يلي نموذجان لتلك المواثيق:

أخلاقيات المهنة في نظام الخدمة المدنية:

تحدَّث نظام الخدمة المدنية عن بعض الجوانب في أخلاقيات المهنة ، وهو ما يتعلق بشروط التعيين ، ومؤهلات الموظف ، والحفاظ على الأسرار ، والالتزام بوقت الدوام ، وعالج بعض الأخلاقيات السلبية كالرشوة ، واستغلال المنصب ، وبيّن حقوق الموظف ، وواجباته ، والجزاءات العقابية في حال المخالفة المتعمدة.

ويلاحظ أن هذه الجوانب النظامية تتفق مع أحكام الشريعة، لذا فإن الالتزام بها يُعدّ التزاماً بالشرع إضافة إلى أنه التزام وظيفيّ ، وهذا يعين الموظف على تطبيق الأنظمة حيث يستشعر الأجر من الله تعالى على تنفيذ النظام لأنه طاعةٌ لله تعالى، ولولاة الأمر ، ولأنها تحقق المصلحة العامة.

المبحث الأول: المواد الأخلاقية:

* **الكفاءة:** ورد في المادة الأولى من نظام الخدمة المدنية: الجدارة هي الأساس في اختيار الموظفين لشغل الوظيفة العامة، والجدارة تمثل مجموع عناصر وصفات ذاتية في الشخص تتصل بالكفاءة الفنية والكفاءات الإدارية والمواظبة، وحسن السلوك، وغير ذلك من الملاءمات المتروكة لتقدير الإدارة.

و ورد أيضاً في المادة الرابعة في شروط التعيين: أن يكون الموظف:

1- حسن السيرة والسلوك .

2- غير محكوم عليه بحدٍ شرعيّ أو بحبسه في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة حتى يمضي على انتهاء تنفيذ الحد أو السجن ثلاث سنوات على الأقل .

3- غير مفصول من خدمة الدولة لأسباب تأديبية ما لم يكن قد مضى على صدور قرار الفصل ثلاث سنوات على الأقل .

- **وهذه الكفاءة مستقاة من قوله تعالى: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (القصص: 26) وهذه الآية هي شعار وزارة الخدمة المدنية؛ لأنها تتضمن أهم صفتين في كفاءة الموظف.**

* **الالتزام بوقت الدوام:** في نظام الخدمة المدنية / المادة 11 : يجب على الموظف أن يخصص وقت العمل لأداء واجبات وظيفته.

وهذا الالتزام جزء من الأمانة في الوقت؛ لأن الموظف مؤتمن على وقت عمله، والأجرة التي يحصل عليها هي مقابل قضاء الوقت في العمل، لذا يلزم الموظف أن لا يستغل وقت الدوام لقضاء المصالح الشخصية، أو الخروج في وقت العمل دون إذن؛ لأنه خلاف الأمانة، والاستثناءات لها أحكامها.

* **المحافظة على الأسرار:** في نظام الخدمة المدنية: المادة 12 / هـ يحظر على الموظف خاصة إفشاء الأسرار التي يطلع عليها بحكم وظيفته ولو بعد تركه الخدمة.

- ✓ **ويقصد بالأسرار الوظيفية تلك المعلومات أو البيانات التي يطلع عليها بحكم شغله للوظيفة، والتي قد تبقى خافيةً عن البعيدين.**

* **المعاملة الحسنة مع المراجعين:** في نظام الخدمة المدنية: المادة 12/ 1: على الموظف استعمال الرفق مع أصحاب المصالح المتصلة بعمله، وإجراء التسهيلات والمعاملات المطلوبة لهم في دائرة اختصاصه وفي حدود النظام.

* **عدم استغلال المنصب:** في نظام الخدمة المدنية: المادة 12 /ب : يحظر على الموظف خاصة إساءة استعمال السلطة الوظيفية، واستغلال النفوذ.

وفي المادة 12/ أ: يحظر على الموظف استعمال سلطة وظيفته ونفوذها لمصالحه الخاصة.

المبحث الثاني: الواجبات :

* **المحافظة على الآداب:** في المادة 11/ أ من نظام الخدمة المدنية : يجب على الموظف خاصة أن يترفع عن كل ما يخل بشرف الوظيفة والكرامة، سواء كان ذلك في محل العمل أو خارجه.

* **الالتزام بأداء العمل :** في المادة 11 من نظام الخدمة المدنية : يجب على الموظف خاصة أن يخصص وقت العمل لأداء واجبات وظيفته .

* **حسن التعامل:** في المادة 11 من نظام الخدمة المدنية: يجب على الموظف أن يراعي آداب اللباقة في تصرفاته مع الجمهور، ورؤسائه، وزملائه، ومرؤوسيه.

* **طاعة المسؤولين:** في المادة 11/ ج من نظام الخدمة المدنية: يجب على الموظف أن ينفذ الأوامر الصادرة إليه بدقة وأمانة في حدود النظم والتعليمات.

- **ومن واجبات جهة العمل تجاه الموظف: في المادة 36 : تعدّ تقارير دورية عن كل موظف وفق لائحة يصدرها رئيس مجلس الخدمة المدنية. واللائحة هي " لائحة تقويم الأداء الوظيفي " الصادرة في عام 1404 هـ .**

المبحث الثالث : الحقوق:

كما أن على الموظف واجباتٍ فإن له حقوقًا، وقد كفل نظام الخدمة المدنية ولوائحه التنفيذية للموظف حقوقاً مالية مقابل أداء واجبات ومسئوليات الوظيفة، منها ما هو دائم ومستمر طوال الخدمة، ومنها ما يصرف لمرة واحدة أو بصفة مقطوعة أو معلق بسبب معين ومن أهم هذه الحقوق ما يلي:) الراتب والعلاوة والإجـازات.

المبحث الرابع: العقوبات.

ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم:

مفهوم أخلاق مهنة التعليم: هي مجموعة من معايير السلوك الرسمية وغير الرسمية التي يستخدمها المعلمون كمرجع يرشد سلوكهم أثناء أدائهم لوظائفهم، وتستخدمها الإدارة والمجتمع للحكم على التزام المعلمين.

ويمكن القول أن أخلاقيات مهنة التعليم بشكل عام (كمبادئ وقواعد) يمكن أن تنطبق على جميع المعلمين في العالم إلا أن جوهر هذه الأخلاقيات ومضامينها تحكمها فلسفة المجتمع وارثه الحضاري وظروفه.

المقدمة : تعد مهنة التعليم رسالة رفيعة الشأن، عالية المنزلة، تحظى باهتمام الجميع؛ لما لها من تأثير عظيم في حاضر الأمة ومستقبلها.

ويتجلى سمو هذه المهنة ورفعتها في مضمونها الأخلاقي الذي يحدد مسارها المسلكي، ونتائجها التربوية والتعليمية، وعائدها على الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء.

وبديهي أن تستمد الأمم والمجتمعات أخلاقيات المهنة من قيمها ومقوماتها، ونحن بفضل الله نستمد أخلاقيات هذه المهنة من عقيدتنا الإسلامية المقررة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا ومعلمنا في هذا الشأن. قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا}. فهو خير قدوة يقتدي بها الأفراد، وخصوصًا الطامحون لبلوغ الكمال الإنساني.

إن هذا الميثاق يتضمن ما يشعر به كل معلم أنه يتعين عليه مراعاته في أدائه لرسالته، وقيامه بعمله قِبَلَ أبنائه الطلاب وزملائه العاملين في الميدان التربوي، وقِبَلَ الوطن بوجه عام، والأمة التي ينتمي إليها بوجه أعم والإنسانية جمعاء

فالمعلم الناجح هو الذي يأسر قلوب طلابه بلطفه، وحسن خلقه، وحبه لهم، وينال إعجابهم واحترامهم بتمكنه من مادته التي يعلمها، وببراعة إيصالها إليهم.

والمعلم المحب لعمله يخلص له، ويجد المتعة فيه، وتهون عليه الصعاب.

والطالب يحب معلمه ويحترمه لما يجد فيه من قدوة حسنة، وعلم راسخ وحكمة ورفق.

وبحب الطالب للمعلم، يحب المادة، ويستسهل صعبها، ويتألق فيها.

✓ **وسنقتصر فيما يأتي على المواد ذات العلاقة المباشرة بأخلاق المهنة:**

المادة الرابعة: المعلم وأداؤه المهني: المعلم مثال للمسلم المعتز بدينه المتأسي برسول الله ﷺ .

المعلم يدرك أن النمو المهني واجب أساس، والثقافة الذاتية المستمرة منهج في حياته، يطور نفسه وينمي معارفه منتفعاً بكل جديد في مجال تخصصه.

يدرك المعلم أن الاستقامة والصدق، والأمانة، والحلم، والحزم، والانضباط، والتسامح، وحسن المظهر، وبشاشة الوجه، سمات رئيسة في تكوين شخصيته.

المعلم يدرك أن الرقيب الحقيقي على سلوكه، بعد الله سبحانه وتعالى، هو ضمير يقظ وحسٌّ ناقد، وأن الرقابة الخارجية مهما تنوعت أساليبها لا ترقى إلى الرقابة الذاتية.

يسهم المعلم في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الطلاب، وغرس أهمية مبدأ الاعتدال والتسامح والتعايش بعيداً عن الغلو والتطرف.

المادة الخامسة: المعلم وطلابه: العلاقة بين المعلم وطلابه، والمعلمة وطالباتها، لُحْمتها الرغبة في نفعهم، وسَداها الشفقة عليهم والبر بهم، وأساسها المودة الحانية، وحارسها الحزم الضروري، وهدفها تحقيق خيريّ الدنيا والآخرة للجيل المأمول للنهضة والتقدم.

المعلم قدوة لطلابه خاصة، وللمجتمع عامة، وهو حريص على أن يكون أثره في الناس حميداً باقياً، لذلك فهو يستمسك بالقيم الأخلاقية، والمثل العليا.

يحسن المعلم الظن بطلابه ويعلمهم أن يكونوا كذلك في حياتهم العامة والخاصة.

المعلم أحرص الناس على نفع طلابه، يبذل جهده كله في تعليمهم، وتربيتهم.

المعلم يعدل بين طلابه في عطائه وتعامله ورقابته وتقويمه لأدائهم، ويصون كرامتهم.

المعلم أنموذج للحكمة والرفق، يمارسهما ويأمر بهما، ويتجنب العنف وينهي عنه ويعوّد طلابه على التفكير السليم والحوار البناء، وحسن الاستماع إلى آراء الآخرين والتسامح مع الناس والتخلق بخلق الإسلام في الحوار، ونشر مبدأ الشورى.

يعي المعلم أن الطالب ينفر من المدرسة التي تستخدم العقاب البدني والنفسي.

يسعى المعلم لإكساب الطالب المهارات العقلية والعلمية، التي تنمي لديه التفكير العلمي الناقد، وحب التعلم الذاتي المستمر وممارسته.

المادة السادسة: المعلم والمجتمع: يعزز المعلم لدى الطلاب الإحساس بالانتماء لدينه ووطنه، كما ينمي لديهم أهمية التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى.

يعزز المعلم لدى الطلاب الإحساس بالانتماء لدينه ووطنه، كما ينمي لديهم أهمية التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى.

المعلم أمين على كيان الوطن ووحدته وتعاون أبنائه.

المعلم موضع تقدير المجتمع، واحترامه، وثقته، وهو لذلك حريص على أن يكون في مستوى هذه الثقة، وذلك التقدير والاحترام.

المعلم عضو مؤثر في مجتمعه، تعلق عليه الآمال في التقدم المعرفي والارتقاء العلمي والإبداع الفكري والإسهام الحضاري.

المعلم صورة صادقة للمثقف المنتمي إلى دينه ووطنه، الأمر الذي يلزمه توسيع نطاق ثقافته، وتنويع مصادرها، ليكون قادراً على تكوين رأي ناضج مبني على العلم والمعرفة والخبرة.

المادة السابعة: المعلم والمجتمع المدرسي: الثقة المتبادلة والعمل بروح الفريق هو أساس العلاقة بين المعلم وزملائه.

الثقة المتبادلة والعمل بروح الفريق هو أساس العلاقة بين المعلم وزملائه.

يدرك المعلم أن احترام قواعد السلوك الوظيفي والالتزام بالأنظمة، والمشاركة الإيجابية في نشاطات المدرسة وفعالياتها المختلفة، أركان أساسية في تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية.

المادة الثامنة: المعلم والأسرة: المعلم شريك الوالدين في التربية والتنشئة.

المعلم يعي أن التشاور مع الأسرة بشأن كل أمر يهم مستقبل الطلاب، أمر بالغ النفع والأهمية.

يؤدي العاملون في مهنة التعليم واجباتهم كافة ويصبغون سلوكهم كله بروح المبادئ التي تضمنتها هذه الأخلاقيات ويعملون على نشرها وترسيخها.

... انتهت المحاضرة الرابعة عشرة ...

تم بحمد لله ...

إن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان ...

نسأل الله الكريم التوفيق وتيسير الأمور...

اللهم لأسهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً ...

أخوكم الصغير: بندر (أبو نواف)